باب المراسلة والمناظرة

استدراكات

على « الامتاع والمؤانسة »

للدكتور بشر فارس

هذا الجزء الثاني من كتاب « الامتاع والمؤانسة » للمنشىء الفذ أديبه المحبَّر حديثه : أبي حيان التوحيدي من أئمة المائة الرابعة ، يخرجه للناس ، بعد الجزء الاول ، الأستاذان احمد أمين واحمد الزين[1] . وانهُ لسعيٌ حسن ، فهذا الكتاب مجمع لتفاريق الفنون : فيهِ من لطائف الصناعتين ، وفيه فقه لغة وفلسفة وموسيقى ، وفيه تاريخ واجتماع ، ثم صنوف من الملح والنوادر . وليس الكتاب بجمع ولا التقاط ، ولكن المسائل تحت قلم التوحيدي تتثر كأنها من محض ابتكاره ، والأغراض تتشعب كأنها ولائد الساعة ، وذلك بأن لأبي حيّان فهماً متقداً وقوة استعاض ذهني نادرة الى جنب أداء حلو ورصف ينفرد عن مواقف الاشياء

وهذا الجزء — عندي — أعلى من الاول مرتبةً ، من جهة الفوائد التي يضمها ، من ذلك ما أثبت في شأن « اخوان الصفا » ، وما عولج من مطالب فلسفية ، وما سرد من أخبار المغنين والقينات وأهل الطرب ، وما روي في الموازنة بين الشعر والنثر مع ما اندرج تحتها من الكلام على أنواع البلاغة

ولما خرج الجزء الاول نظرت فيه فنبهت الى أشياء بينت وجه الوهم فيها[2] . ووقفتني اليوم ألفاظ وعبارات في هذا الجزء أحب أن أعرضها هنا . ولا يشغلني أن ينبّهها الناشران الفاضلان في آخر الجزء الثالث يوم يبرز ان شاء الله ، فانما همي الفحص لوجهه وما يعقبه من لذة رغبة في اتمام الفائدة

---

(١) لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٢

(٢) مجلة الرسالة ١٨ / ١٢ / ١٩٣٩ ، العدد ٣٣٧ — وكذلك سبق الزميل الكريم الدكتور زكي مبارك (الرسالة ، العدد ٣٣٦) الاب الاستاذ الجليل انستاس مرقص الكرملي (المقتطف ، المجلد ١٠٠ ص ٢٤٥ — ٢٥٠ ، ٣٤١ — ٣٤٧)

إلاّ انهُ من الغريب أن يأخذ مخرج نص من النصوص عزة نادرة كأنما الناقد عليه أن يكبر دون أن ينبه ، وكأنما مخرج نص من النصوص فوق الهفوة والعثرة . وذلك انهُ لما استدرك الصديق الدكتور زكي مبارك على الجزء الاول من « الامتاع والمؤانسة » واستدركت أنا وثب الينا من وثب وقد أخفى اسمه، في مجلة « الرسالة » . غير انهُ ما عتم أن عثر بسنان قلمه إذ بينت ما في كلامه من التلبيس والعنت (الرسالة ٣٤١ — ٣٤٣)

وخير من هذا أن ينصرف نرج النص أيًّا كان الى التدقيق ويلزم التمحيص . فهناك سقطات لا ملتمس لعذر فيها ، فانما هي وليدة التسرع والاهمال أو نتيجة الاجتزاء بالحل القريب غير المبرَم . ولا أرى بدًّا من التنبيه الى مثل هذا النقص، لأن تحرير النصوص القديمة يتطلب موفور الهمة وقصيّ الدقة . وفي علمائنا ، ولله الحمد ، من يأبى أن يترخص في هذين الشرطين وما يتصل بهما ويأخذ اليهما ، مثل شيخي احمد زكي رحمه الله والآب الكرملي ونفر من رجال دار الكتب المصرية وجلّة الدائبين في النشر بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت ، كل أولئك الى جنب المستشرقين . فمن السوء أن يتهاون بالأمر من تلزمه مكانته العلمية ألاّ يجعل للفحص مجالاً لشبهة ولا للآخذ وجهاً لعيب . وفي نقدي لكتاب « العقد الفريد » (المقتطف ، يناير ١٩٤١) تبيين لمثل ذاك التهاون . وأسوأ من هذا أن يخشى محرر النص تنقيب أهل النظر وأن تثور به عزة المخطىء العارف ، مع أن النص القديم اذا نشر فانما تنشه مراجعات المراجعين حتى ان العلماء في اوربة اذا ذكروا مثل ذاك النص أثبتوا المراجعات بجنبه

ثم اني أزيد ان العلامة الآب الكرملي تدبر هذا الجزء الثاني (« الرسالة » ٤٧١ — ٤٧٥ و ٤٨٣ — ٤٨٧) ، فأحصى عدداً غير قليل من الأوهام والفرطات . فلم يسلم

* * *

والآن اليك أمثلة من المآخذ على حسب المنهج الذي عليه يجري العلماء في تحرير المخطوطات . وكذلك كان تقسيمي لمآخذ الجزء الاول

١ — التباعد عن سياق النص

ص ٣٣ س ٧ : « هذا باب إن توزع القول فيه طال . وإن رُمي بالقصد جار » — والوجه : « وإن رمي بالقصد جار » . وبيان هذا ان التوحيدي اراد أن يقول : « ان هذا الباب ان توزع القول فيه تشعب وطال ، وان رُمي القول فيه بالقصد اي بالاعتدال : فلا اطناب ولا استطراد ، جار : أي جانب الاباحة والاحاطة . هذا والفعل للتورية التي قصدها أبو حيان ،

وايضاحها أن كلة « جار » تفيد « الميل عن القصد » ، والقصد هنا : المستقيم ، وهو أيضاً : نقيض الافراط والايغال

ص ٤٨ س ١ تحت — س ٤٩ س ١ — ٢ : « اطلب في حياتك هذه العلم والمال تملك بهما الناس لانك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة لعظمك لمالك » — والوجه : « فالخاصة تعظمك لعلمك » . كذا يحسن التقسيم ويتم ردّ العجز على الصدر . هذا تحرير ما جاء في النسخة (ا) المخطوطة . واما الذي في النسخة (ب) المخطوطة ايضاً فرواية صحيحة مقبولة على جهة ما بينت ، وحروفها كما في الهامش : « فالخاصة تفضلك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك » ، هنا الملك (اي المال) وهناك العلم

ص ٧٦ س ١٢ : « ولكن لما غلبت عليهم العزّة ودخلت الشعرة في آنافهم ، وظهرت الخزوانة (اي الكبر) بينهم . . . . » . وفي الهامش أن في كلتا النسختين : « الحرية » بدل « العزة » — والوجه : « الحمية » ، اذ هي الى صورة الاصل أقرب ، وبالشعرة والخزوانة أردف

ص ٧٩ س ١٠ — ١٤ : وهو « كثير التأله شديد التوقي ، وما رأينا وزيراً على هذا الدأب وبهذه العادة ، لا منافقاً ولا مخلصاً . وقد قال الله تعالى (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » . وفي الهامش ان في (ا) « ولا خاصاً » بدلاً من « ولا مخلصاً » — والوجه ان خاصاً » هو الصواب ، وبه يستقيم المعنى وتتجاوب أغراض العبارة . وهل الاخلاص من الاعمال السيئة حتى ينفيه التوحيدي عن الوزير ؟ وأما « التفحاص » فمدلوله في اللغة : المبالغ في التفحص عن عيوب الناس وأسرارهم ، و « التفاحص » (كالتجسس) من « فحصه فلان كأن كل واحد منهما يتفحص عن عيب صاحبه وسره » (لسان العرب وتاج العروس ، مادة ف ح ص)

ص ١٣١ س ١١ — ١٢ : « وهذه آفة معترضة في أمور الدين والدنيا ، ولا مطمع في زوالها . لأنها ناشئة من الطبائع المختلفة والعادات السيئة » — والوجه : « المتخلفة » بدل « المختلفة » حتى يستقيم الكلام على عمود واحد . والتخلف : التأخر ، وفيه معنى القصور والرداءة اومن هنا يوافق « سوء العادات » . ومن ذلك قولهم : « شاعر متخلف الطبع »

٢ — التجافي عن أسلوب المؤلف

ص ٨٥ س ٢ : « كذلك ايضاً القوة العاقلة لا تقوى بذاتها على استنباط الركبات الا من جهة القوة الخيالية . . . » — والوجه : « على إثبات المركبات » . والاثبات في المصطلح

تقيض الحر والنبي ، وأما الاستثبات فله معنى لغوي لا يناسب المقام ، وتؤيد إشارة كلمة « الاثبات » ما سطره التوحيد بعد اسطر (ص ٨٥ س ١ تحت : « ما هو أكثر تركيباً فلعلي أقدر على اثباته ») ويجرى العبارتين في جهة واحدة

ص ١٦٨ س ١ — ٣ « ولا طَرَبَ الجراحي مع قضائه في الكرخ : اي مع أنه كان قاضياً في الكرخ) ... فإنه يغمز بالحاجب اذا رأى يسرطاً ، وأمّل أن يقبل خدًّا وقُرطاً على غناء شعلة (اسم قينة) » . وفي الهامش ان في كلتا النسختين « شرطاً » لا « سرطا » و « قرطاً » لا « قرطا » . فالسرط والقرط من تصحيح الناشرين — والوجه ان تقرأ العبارة على هذه الصورة ، بعد استبدال « يأمل » من « أمّل » مزاوجةً للفعل السابق : يغمز ، وبعد استبدال « خدًّا » من « خدّا » طباقاً لكلمة « قرطا » . وذلك أن « أمل » و « خدًّا » من مسخ الناسخ . ودونك العبارة اذن : « فانه يغمز بالحاجب إذا رأى شَرَطاً (بفتح الراء ، أي علامة من جهة الست شعلة) ، ويأمل أن يقبل خدًّا (أي في القمر المحدود) وقُرُطاً (بضم الأولين ، والأمر القُرُط : المجاوز فيه الحد) هذا ، واذكر هنا ان الحديث يجري في شأن الجراحي وهو قاضٍ ، ثم تأمل التورية التي أرادها التوحيدي : (الشَرَط ، الحد ، القُرُط) وهو من أرباب البلاغة

٣ — التسرع في تصويب الاصل

ص ٨٤ س ١٤ — ١٨ : « والاحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج الى الاحاطة بالمعاني المركبة إلا من جهة ليتوصّل بتوسطها الى استثباتها » وفي الهامش أن في (ب) « أسباب اثباتها » وفي (أ) « اثبات اثباتها » — والوجه « أسباب اثباتها » بدلاً من « استثباتها » . و « الاسباب » هي المبادىء عند الحكماء ، (عن « كشاف اصطلاحات الفنون » ، سبب) وهذا يوافق ما سطره التوحيدي بعد قليل (ص ٨٥ س ١٣) : « العلم لا يحيط بالشيء إلا اذا عرف مبادئه » (وانظر أيضاً ص ١٠)

ص ١٤٢ س ١ — ٢ : « وأما بلاغة العقل فأن تكون البساطة فيه أغلب من التركيب ويكون المقصود ملحوظاً في عُرض السَنَن » . وفي الهامش قال الناشران : « وردت هذه الكلمة « السن » في (أ) مهملة الحروف من النقط ، وفي (ب) « السبب » وهو غير واضح المعنى ، ولعلّ الصواب ما أثبتنا ، والسنن : الطريق » اهـ هذا ، ويدفع قول الناشرين ان « السبب » أيضاً يفيد « الطريق » ، من ذلك قولهم : « ما في اليه سبب » أي طريق (أساس البلاغة ، مادة س ب ب) . فاذا كان مرمى العبارة ما يراد الناشران فلا حاجة

الى استبدال لفظ بكلمة السبب ، وهي في أحد الأصلين مائلة بيّنة

ص ١٨٣ س ١ بحث — ص ١٨٤ س ١ : « وان تظلتْ فلدالة التي تغلط بها الخدم ، وان خاشنت فلثقة بحسن الاجابة ، وان غالظت فلعلمي بغالب الحيلم ... » وفي الهامش أن في (ا) « حاسبت » ، وفي (ب) « حاشيت » — والوجه عندي : حاسبت ، وهي اقامة الحساب بمعنى التضييق أو المطالبة ، ويلتحم بها قوله: «حسن الاجابة» . ثم ان في «خاشنت» مثل ما في « غالظت » الواردة بعد ، ولا يقصد التوحيدي التكرار ههنا ، بل انه في معرض التقسيم

٤ — قلة التقصي

ص ٧٧ س ٦ : « فبدأ نُصيري ، وهذا أشجعي » . وفي الهامش : « كذا ورد هذا اللفظ في (ا) وحدها ، ولم نجد الأشجعية فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في الفرق » — هذا ، وكان يحسن بالناشرين أن ينبها الى أن الكلمة قد تكون محرفة عن « الأشجّي » نسبة الى جعفر بن حرب الأشج ، وهو من المعتزلة (توفي سنة ٢٣٦) ، وقد ذكره الشهرستاني مثلاً في « الملل والنحل » القاهرة ١٣٤٧ ج ١ ص ٣٥ ، ٧٦

ص ١١٨ س ٩ — ١١ : « والكلام ذو جيشان ، والعلم ذو غليان ، والقلم ذو نقيان ، ومتدفقه لا يستطاع ردّه ، ومنبعثه لا يقدر على تسهيله [1] » . وقال الناشران في الهامش: « النقيان من نقت السحابة الماء اذا نحّته (أي صبّته ودفعته) ، أو من نقت الريح التراب اذا أطارته . وفي (ا) « نقيان » ، وهو تصحيف ، وفي (ب) « رميان » اه . — قد أحسن الناشران في عدّ « النقيان » تحريفاً ، وأصابا في تغليب « النَّفَيان » ، ولكنه من « نفت السحابة الماء » لا من « نفت الريح التراب » ، وذلك أوفى مراعاةً للنظير لأن التوحيدي استعار « تدفق » الماء و « منبعثه » للكلام على جريان القلم . هذا أو ان يكون « النفيان » ههنا من « نَفَيان السيل وهو ما فاض من مجتمعه كأنه يجتمع في الآبار والاخاذات ثم يفيض إذا ملأها » (« لسان العرب » ن ف ي) . ذلك ما يتعلق بتقويم الرواية التي في النسخة (ا) ، وأما الرواية التي في (ب) وهي « رَمَيان » فغير مردودة ، ذلك لأنها تناسب أيضاً تدفق الماء وانبعاثه ، مصداق هذا ما جاء في « لسان العرب » مثلاً : « رمي السحاب يترامى أي ينضم بعضه الى بعض وكذلك رمي » ومن هنا : « الرَّمِيّ كالسَّقِي : السحابة العظيمة القطر : الشديدة الوقع » (راجع أيضاً المخصّص ج ٩ ص ١١٣ ، باب الأمطار)

ص ١٨١ س ٣ — ١ بحث : « وقدم من شاش خراسان أبو مسلم فاشتراها (يعني حبابة القينة) بثلاثين ألف درهم معَزّيّة . » وفي الهامش أن في (ا) : « عزية » ، وفي (ب) :

(١) ألا قرأ « سبيله » بدل « تسهيله » ؟

« غزية » وأما المعزية ، وهي من تقويم الناشرين ، فنسبة الى معز الدولة البويهي (سنة ٣٢٠) — والرأي أن هنالك غير هذا المذهب ، إذ لك أن تقرأ : « عزية » — وهي أقرب الى صور الاصلين — نسبة الى عز الدولة البويهي (سنة ٣٥٦) ، وراجع « النقود العربية » للأب أنستاس ماري الكرملي ، مصر ١٣٥٩ ، ص ١٢٦) . ولك أن تقرأ أيضاً : « غزنية » أو « غزنوية » ، نسبة الى غزنة في طرف خراسان (« معجم البلدان ») أو اضافة الى الدولة الغزنوية (المرجع نفسه ص ١٢٦ . واطلب لفظة Ghaznawides في دائرة المعارف الاسلامية ، ط اوربة ، تجد ذكر نقود كان يضربها بلكاتكين وغيره في غزنة منذ المائة الرابعة

ص ١٥٣ س ١ تحت : « كُنْتُس الشاعر » . وفي الهامش أن في كلتا النسختين «أنيقُس» بدل « كنتس » . فعدّ الناشران هذا الاسم محرفاً ولم يذكرا السبب بل لم يوضحا مدى استبصارهما في تحقيق الاسم (راجع هنا تعريب الكرملي وتحقيقه في « الرسالة » العدد ٤٨٣ ـ اسم الشاعر : ابيقوس)

٥ — التحكم في رفض رواية النص

ص ١٣١ س ٩ — ١٠ : « لأن صاحب هذين الخلقين (التعصب والحمك) لا يخلو من بعض المكابرة . وبقدر ذلك يصير له مدخل فيما يراه تحقيقه من بيان الحجة ». وفي الهامش أن في كلتا النسختين « وبذلك القدر » — فلا وجه للاعتراض في هذا التركيب وان رأى الناشران فيه تقديماً وتأخيراً

ص ١٤٢ س ٣ — ٦ : واما بلاغة البديهة فأن يكون انحياش اللفظ للفظ في وزن انحياش المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع ، لانه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنهُ يظفر به » . وفي الهامش أن في (ب) «اختلاس» بدل « انحياش» ، وأن هذه الكلمة مما اثبته الناشران — أقول ان « الاختلاس » أدخل في سياق العبارة ، لأن الحديث يجري في أمر البديهة ، وفي الاختلاس معنى النُهزة والسرعة ، وأما « الانحياش » فيدل على الاجتماع أو الانسياق ، وليس في هذين المدلولين ما يقع على سرّ البديهة ، وقوامُه استدعاء اللفظ للفظ واستنباط المعنى من المعنى في سرعة الخاطف

ص ١٥٣ س ١ تحت — ص ١٥٤ س ١ : « ان ملك يونان كتب الى كُنتُس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية ، فجمع ماله في عيبة ضخمة ، وارتحل قاصداً نحوه » . وفي الهامش أن في كلتا النسختين : « أن يزوره بما » والباء للمصاحبة . فأين الشبهة في صحتها ؟ وهذه العبارة توافق : « ارتحل قاصداً نحوه »

بشر فارس

تعقيب على مقال

فلسفة الاخلاق في الاسلام

تفضل الاستاذ الجليل يوسف كرم — أحد أساتذة الفلسفة بالجامعة المعروفين بعمق البحث وتحرّي الحق — بقراءة كتابي « فلسفة الاخلاق في الاسلام» وكتابة النقد العلمي له الذي نشر في الصفحة ٤٩٦ من هذا الجزء ، فلحضرته خالص الشكر ولنقده جميل التقدير . ومع انا من المعروف ان من ألّف فقد استهدف ، ومع أني ممن يرحبون بالنقد ما دام الغرض منهُ تمحيص الآراء والوصول للحق ، الا اني مع هذا وذاك رأيت أن أتقدم بتعقيب قصير على هذا النقد ، أجمله فيما يأتي : —

١ — لو كان الغرض دراسة التفكير الاخلاقي للعرب قبل نقل الفلسفة الاغريقية لكان واجباً تقسيم الكلام في هذه الفترة الى جاهلية واسلامية ولكن المقالة الاولى ليست الا تمهيداً سريعاً لموضوع البحث وهو « فلسفة الاخلاق في الاسلام » بعد الاتصال بالاغريق . على أن الخير مهما كان الحال ، كان في تقسيم الكلام كما قال حضرة الاستاذ الناقد

٢ — اخطر لي الى المقالة الثانية التي يرى حضرة الاستاذ عدم ضرورتها ما ذكرته اول الحديث فيها من ان الفيلسوف ، وان لم يكن دائماً صورة لعصره ، فانه لن يكون مطلقاً بمنجاة من تأثره به ، ولعلّ هذا التأثر يبدو واضحاً في ابن مسكويه الذي عمل مجهده على اقامة مذهب في الاخلاق يقوّم من اعوجاج عصره

على ان الناس ليسوا جميعاً على حظ واحد من العلم بالحياة الاسلامية في ذلك العصر ، فمن الخير ان يعلم القارىء تلك الحياة في العصر الذي يتكلم فيه عن بعض فلاسفته ومفكريه . وهذه الصورة التي رسمتها لهذا العصر وان بدت قاتمة ، هي الصورة الحقة التي تؤيدها الدلائل التاريخية التي أتيت بما فيه الكفاية منها

أما ازدهار الحياة العلمية في ذلك العصر فقد كان له عوامل خاصة تغلبت على مساوئه ، وأهمها كما ذكرت (ص ٣٩ — ٤٠) تشجيع الخلفاء وأمراء الدويلات الاسلامية للعلم والتفكير ورجالاتهما

٣ — يسرني أن أقر لحضرة الاستاذ بسداد رأيه في حل الاشكال الذي أوردته على ابن

مسكويه خاصًّا بالتفضل وانه محمود مع انه يزيد عن الوسط ، فان التفضل — كما يرى بحق — وسط بالاضافة الى فضيلة أخرى هي الاحسان ، وان كان زيادة عن وسط العدالة بالمعنى الارسطوطالي

٤ — أما ما لاحظهُ حضرة الأستاذ الجليل من سوء التفاهم بيني وبين ابن مسكويه فلا جناية لي فيه . ان سببهُ أخذ ابن مسكويه نفسه عن هذا مرة وذاك أخرى من الفلاسفة الذين قرأهم واختار من آرائهم ، فكان من ذلك ما وقع فيه من خلط وما يلاحظهُ الباحث من تردد في بعض الأحيان . وإذن كان لا بد من الاشارة الى ما كان منهُ من هذا وحسابه عليه

٥ — أشكر للسيد الاستاذ دفاعه عن الغزالي وصنيعه في الأخذ عن غيره دون أن يشير لمأخذه بأن هذا كان مألوفاً في العصر المتوسط ، لكن هذا لا يبرر مطلقاً — بالنظر الى الحق وحده — أن يغير غارات عديدة على غيره حتى في الاسلوب والتعبير ! وهذه الغارات تظهر في كتابه معارج القدس ، كما تظهر في الاحياء . وفي كتاب الأربعين الذي لا شك في نسبتهما لهُ

ومن الهام أن أذكر انهُ لم ينقل عن الفارابي وابن سينا وحدهما ، بل عن غيرهما الذين لم يتصلوا منهما بالفلاسفة الاغريق ؟ ويكفي أن يرجع القارىء الى ما ذكره في الفضائل التي سماها بالفضائل التوفيقية ، وهي : هداية الله ورشده وتسديده وتأييده ، والى ما ذكر الراغب الاصفهاني عنها في كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة ، ليتبين كيف أخذ حجة الاسلام عن الاصفهاني نفس تعابيره !

٦ — أما أمنية الاستاذ الفاضل في أن يكون مذهب الغزالي في الزهد والروحية مثلاً أعلى عمليًّا للامم جميعها ، فهي أمنية طيبة نتمناها جميعاً . ولكن ما دامت الأمم تتقاتل في سبيل هذه الحياة ، فلا خير لنا فيما يدعو اليهِ هذا المذهب من زهد مبالغ وفقر وجوع وخمول . أقول : « وفقر وجوع وخمول » لأن ذلك صحيح وله أسانيده من كتب الغزالي نفسه : الاحياء والأربعين على ما جاء بصفحة ١٣٦ وما بعدها من كتابنا

وبعد ، فهذا تعقيب رأيت أن لا بد منهُ على أهم ملاحظات حضرة الاستاذ الناقد التي لها قيمتها

والله أسأل أن أكون عند حسن ظنه بي ، وان يوفقنا جميعاً لخدمة العلم والحق ، انهُ الموفق والمعين

محمد يوسف موسى